5- المحاضرة الخامسة:

تقاطع العلوم الإنسانية

إلى جانب، المجالات (الموضوعات) الكلاسيكية الكبرى مثل العمل(الشغل)، الأسرة، الفرد، الدولة، يوجد حقول دراسية جديدة مثل: الهوية، والحياة اليومية (المعِيشِي)، الجنس، الامتنان وغيرها. وإلى جانب التخصصات الكلاسيكية مثل الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع أو التاريخ، نجد علم النفس التطوري، والعلوم العصبية، علم الحفريات، والبيوإتيقا.

وإلى جانب الشخصيات العلمية الكبيرة أمثال: فرويد، ماركس، ملیناوسكي، وميشال فوكو وغيرهم، نجد أسماء جديدة تصنع العلوم الإنسانية اليوم أمثال: جورج غوسدورف جون راولس، بيار بورديو، كلود ليفي ستروس، إدغار موران، يورغن هبرماس، أمارتيا سن وغيرهم كثيرون.

من الأمثلة على تقاطع العلوم الإنسانية:

يحتل سكان أستراليا الأصليون Les Aborigènes مكانة خاصة في تاريخ العلوم. في سنة 1899 قدّم كلا من الباحث الهاوي (هواية البحث): الأسترالي Francis J. Gillen (1855-1912) والفيلسوف الإنجليزي Baldwin Spencer (1820-1903) في مجال النثروبولوجيا والإثنولوجيا بتقديم دراسة حول قبائل Arunta أو Arrente التي كانت تعيش في وسط أستراليا، وتتضمن هذه الدراسة وصف لنمط حياة السكان الأصليين، وخاصة منها المؤسسة الطوطمية. وانطلاقا من هذه الدراسة أسست مجموعة من العلماء: جامس فريزرن إميل دوركهايم، سغموند فرويد و ليفي برول، نظريات عامة في أصول الأديان أو المجتمع، وذلك بالاعتماد على دراسة السكان الأصليين، واتخاذهم بمثابة نموذج قريب مما يعرف بالإنسان الأول. كما أن العقيدة الطوطمية كانت بمثابة القاعدة الوثائقية بالنسبة لدوركهايم لكتابه: الأشكال البدائية للحياة الدينية (النظام الطوطمي في أستراليا) Les Formes élémentaires de la vie religieuse (Le Système totémique en Australie) 1912 . وفي كتابه فرويد الطوطم والمحرم Totem et Tabou يوظف الوضعية الطوطمية الأسترالية لتأكيد نظريته في أن الطوطم هو السلف الأسطوري للقبيلة، والذي قُتِلَ من طرف أبنائه لأجل الإناث، هذا القتل البدائي هو الفعل المؤَسِسْ للمجتمع وللممنوعات الغذائية (المحرمة) التي تتعلق بالحيوان الطوطم، والمنبثقة من الشعور بالذنب المرتبط بقتل الأب[1] Le parricide.

---

1 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, Paris, Edition sciences humaines, 2008, pp 62-64.

بالنسبة للباحثين في مجال العلوم الإنسانية، فإن الوقت قد حان للعمل في إطار التكامل بين هذه العلوم Une interdisciplinarité، فعالم الاجتماعي يتفتح على علم النفس والعكس صحيح، ولا يبقى عالم اللّغة غير مبل بتطور العلو المعرفية، ويواجه الأنثروبولوجي تطور علم الحفريات، وعلى العالم الجغرافي التفتح على العلوم الإنسانية[2].

– مفاهيم، ونظريات ونشاطات العلوم الإنسانية:

يبدو أن العلوم الإنسانية دخلت المجتمع، والدليل هو ظهور هذه المفردات التي نسمعها على الأثير، ونقرأها في الصحف ونسمعها في أروقة المؤسسات التعليمية، الاستشفائية، والحقوقية، والاقتصادية وغيرها من الأماكن مثل: الهوية، والحياة اليومية ، والاعتراف، الفرد المواطن والمواطنة، الثقافة، العنف، السلم، الحقوق، المدينة، الشيخوخة، الاستهلاك، المنفعة، التقنية، المؤانسة، الإحصاء، التضامن والضمان الاجتماعي، والجنس، وغيرها من المفردات الجديدة.

هذه الكلمات تمس بشكل مباشر قضايا اجتماعية، مثلما أنها تعبر عن تحديات شخصية. إن عملية إدخال هذه المفردات الجديدة في لغتنا العادية، تعكس نوع من التطور العميق لمجتمعاتنا.

إلى جانب العلوم الكلاسيكية، من علم الاجتماع، علم النفس، التاريخ نشهد اليوم ولوج كثير من العلوم الجديدة التي تمثل جزء كبير من العلوم الإنسانية مثل، علم النفس التطوري، دراسات ثقافية، علم الأعصاب، وعلم الآثار، أخلاقيات علم الأحياء أو البيوإتيقا La bioéthique وعلوم اللّغة وغيرها، وذلك بمساهمة مجموعة من الخبراء، ومعالجين، ومستشارين، ومسؤولين عن إدخال عناصر التطور والتواصل.

– مشكلة التأخر التاريخي في ظهور العلوم الإنسانية:

يمكن ارجاع أسباب تأخر العلوم الإنسانية في الظهور والتطور على شاكلة العلوم الطبيعية إلى عدة أسباب نذكر منها:

– توجه البحوث العلمية إلى مصادر المنفعة المادية، لذلك كان الاهتمام والتمويل للعلوم الطبيعية أكثر من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

– علمية هذه النشاطات (العلوم الإنسانية) متميزة بعدت صفات نذكر منها:

---

2 Ibid, pp 59-61

– **الذات الدارسة وموضوع الدراسة واحد:** ويكون هذا في صورتين: الموقف المنعكس أو انعكاس الذاتي لذلك يكون موقف الدارس متميز نوعا ما. على حد تعبير غوسدورف، الإنسان هو ذلك الكائن الذي يمتلك موهبة جعل نفسه محل تساؤل، وتغيير المعاني المحققة باستمرار[3]. الموقف الأول الكلاسيكي يفضل التمييز بين الذات الملاحِظة، وموضوع الملاحظة، أما في الموقف الاثني، فإن الباحث يفضل تحمل مسؤولية التأكيد و/أو تحمل نصيبه من الموضوعية.

يتحدث كلود ليفي ستروس عن شروط عقلانية.

– **بين الذاتية والعلماوية:** في الوقت لذي ظهرت فيه العلوم الإنسانية، كان هناك وجود للعلوم الطبيعية، وكانت تماما مشروعة الوجود، مما أدى إلى هيمنة العقلية العلمية وبالتالي تأثر العلوم الإنسانية بها في تطورها بالرغم من دفاع بعض المفكرين عنها. لقد بقية المناهج العلمية (الاستقرائية) معارضة لها، وما دامت كذلك فإن مسألة علمية العلوم الإنسانية تبقى مطروحة، وذلك لما يلاحظ عليها من حملها للمتعارضات.

– **النسقية:** على العكس من المعارف العلمية التي يمكن تعميمها، فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية تتصف بالنسقية، أي أن المعارف التي تنتجها العلوم الإنسانية غير قابلة للتعميم، وذلك لأن لكل مجتمع ولكل عصر مميزاته.

– **نقص التكامل بين العلوم الإنسانية:** كل علم من العلوم الإنسانية والاجتماعية تهتم بدراسة جانب من جوانب الإنسان، لذلك، ومن الضرورة بما كان، خلق نوع من التكامل المعرفي بين هذه العلوم، من غيره لا يمكن لها أن تحقق غايتها وهي تقديم صورة متكاملة عن حقيقة الإنسان، والواقع الإنساني في بعده المعنوي شبيهة بتلك التي تقدمها العلوم الطبيعية.

– **التعقيد:** الواقع الإنساني معقد لأنه يتألف من عناصر كثيرة ومتنوعة وعلى درجة من التعقيد يصعب تناولها، ولكي يكون هناك فهم كلي لهذا الواقع، فمن الضروري ليس الأخذ بالإعتبار مختلف الجوانب كل جانب على حدى، وإنما النظر يكون للنظام العام والكشف عن هذه الجوانب(النفسية، الجسدية، الاجتماعية، ...) في تفاعلها وتكاملها.

---

3 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 796.

يصوّر لنا إدغار موران Edgar Morin هذا التعقيد وهذا التركيب في مجال العلوم الاجتماعية معتبرا بأن المجتمع ينتج من خلال التداخل والتفاعل بين الأفراد، إلاّ أنه بمجرد إنتاج المجتمع، ينتج هذا الأخير بدوره الأفراد، بمعنى آخر، يُنتج الأفراد المجتمع الذي سوف ينتجهم[4].

– الوظيفة الاجتماعية للعلوم الإنسانية:

لم تحظى العلوم الإنسانية والاجتماعية بالعناية اللازمة وهذا منذ زمن بعيد، وبالتالي لم تجد الدعم المالي، مما أدى إلى تقليص حضوضها في مشاركة المجتمع في حل مشاكله بالرغم مما تقدمه من منتوج معرفي إذا ما وُظف يمكن أن يتجاوز المجتمع به الكثير من هذه المشاكل التي يتخبط فيها ، والتي لعجزت العلوم الطبيعية عن حلها.

بالفعل يمكن للعلوم الإنسانية أن تشارك وتتدخل في كثير من مجالات الحياة الاجتماعية كالسياسة، والتربية، والصحة، والمواطنة، والاقتصاد وغيرها. وهذا يجعل من الفعل الصفة المميزة لهذه العلوم.

ذلك لأن:

- الوصف فيها (وصف الذات) ينتج معرفة.
- التفسير فيها ينتج الفهم
- التكهن فيها ينتج التنبؤ
- واقتراح الحلول منها ينتج تجاوز المشاكل.

إن هذه الوظائف كلها هي بمثابة التحدي الذي تفرضه هذه العلوم التي تدفعنا إلى محاولة توسيع دائرة منفعتها ووظيفتها لأنها ضرورية لفهم هذا التعقيد، ولأنها تقدم لنا معارف حول المسائل التي تخص الأفراد والمجتمع.

إن تاريخ العلوم الإنسانية هو عملية تحري الإنسان عن الإنسان. العلوم الإنسانية هي حوار الإنسان مع الإنسان، كما أنها تساهم في بناء الإنسان إنها عبارة عن أنثروبولوجيا لا سقراطية، ولا ديكارتيه على حد تعبير غوسدورف[5]، فإذا كانت العلوم الطبيعية غايتها التنمية الاقتصادية، فإن غاية العلوم الإنسانية هي رفاه الشعوب.

4 Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Paris, édition du seuil, p 100.

5 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 7.

مراجع المحاضرة:

1 Jean-François Dortier, (Sous la direction), Dictionnaire des sciences humaines, Paris, Edition sciences humaines, 2008, pp 62-64.

2Ibid, pp 59-61

3 Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 796.

4 Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Paris, édition du seuil, p 100.

5Georges Gusdorf, Introduction aux sciences humaines. Essai critique sur leurs origines et leurs développement, p 7.